مراجعة مقال(Article Review)

بعنوان "القوى الصاعدة في النظام الدولي وطوفان الأقصى... تباينات وتقاطعات المواقف والتوجهات"

للأستاذ الدكتور عبد القادر دندن

مراجعة : م. د إياد مالك عبد المجيد

كلية العلوم السياسية – جامعة بغداد

تاريخ الاستلام: ٣/٥/ ٢٠٢٥ تاريخ القبول:٢٢/٥/ ٢٠٢٥

تاريخ النشر: ٣٠/٧/٢٠٢٥

منذ تنفيذها في السابع من تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٢٣، شغلت علمية طوفان الأقصى العالم بأسره، بما فيه من أوساط سياسية وأكاديمية وإعلامية وشعبية، وكانت تلك العملية ونتائجها وانعكاساتها، وما تبعها من عدوان وحشي غير مسبوق على قطاع غزة المحاصر، موضوعاً للكثير من التحليلات والكتابات المختلفة، التي سارعت إلى تحليل خلفيات العملية وتداعياتها على القضية الفلسطينية، وعلى استقرار المنطقة والأمن والسلم العالميين بشكل عام، وكذلك مواقف وتوجهات القوى الدولية تجاه هذه العملية، وما نتج عنها من حرب جديدة بين المقاومة الفلسطينية والاحتلال الإسرائيلي كان قطاع غزة مسرحا لها.

ومن بين الكتابات التي تناولت هذا الموضوع، الدراسة التي نشرها الأستاذ الدكتور عبد القادر دندن من الجزائر، تحت عنوان: "**القوى الصاعدة في النظام الدولي وطوفان الأقصى.. تباينات وتقاطعات المواقف والتوجهات**"، **والمنشورة على الموقع**

الإلكتروني لمركز الزيتونة للدراسات ببيروت – لبنان بتاريخ ١٣ / ٢/ ٢٠٢٥، وهو مركز مختص في نشر كل ما له علاقة بالشأن الفلسطيني.

وقد تضمنت الدراسة فضلاً عن المقدمة والخاتمة ثلاثة محاور رئيسة ، فجاءت المقدمة ليؤكد فيها الباحث ان القضية الفلسطينية تتفاعل ضمن بيئة إقليمية وعالمية سِمتها التغيير والتعقيد والتشابك ، اذ ان طوفان الاقصى وحرب غزة وما تلاها من تحولات في بنية النظام الدولي وظهور القوى الصاعدة في العلاقات الدولية ، التي زادت من حدة التناقض والتنافس بين هذه القوى الصاعدة ونضيرتها الغربية المتمثلة بالولايات المتحدة الامريكية ، إلى الحد الذي شاع فيه تصور يؤسس لانقسام عالمي ما بين غرب آخذ بالتراجع والضعف ، وشرق يتجه نحو الصعود . اما فيما يتعلق بالاشكالية البحثية فقد تضمنت السؤال المركزي : إلى اي مدى كانت تداعيات عملية طوفان الأقصى وحرب غزة مجالاً لبروز وتقوية دور القوى الصاعدة، كفواعل قادرة على استغلال الظرفية المستجدة لرسم توجهات جديدة ومختلفة في المجتمع الدولي تجاه القضية الفلسطينية والممارسات الإسرائيلية ؟ واجاب الكاتب من خلال الفرضية ، إذ بين ان عملية طوفان الأقصى تمثل فرصة للقوى الصاعدة لتقديم نفسها كخط بديل لذلك الغربي الذي ساد طوي لا ، ومجالا لترويج تلك القوى الصاعدة لنفسها كمناصر للقضايا العادلة لدى شعوب المنطقة .

ومن هنا جاءت الدراسة من ثلاثة محاور رئيسة، جاء المحور الاول تحت عنوان **(القوى الصاعدة ومساعي تغيير النظام الدولي ...السياقات والدلالات)** وهو متعلق بنظرية انتقال القوة كمدخل نظري ومفاهيمي للدراسة، والمحور الثاني **(عوامل ومتغيرات تبلور مواقف القوى الصاعدة من طوفان الأقصى وتطورات الحرب في غزة)** الذي يبرز أهم مواقف وتوجهات القوى الصاعدة الرئيسية (الأعضاء الخمسة لمجموعة

البريكس) تجاه طوفان الأقصى والحرب على غزة ، فيما كان المحور الثالث **(طوفان الأقصى ومستقبل ومآلات لعبة النفوذ والتموقع في النظام الدولي)** والذي جاء منكباً على عرض رؤية الباحث للانعكاسات المحتملة للاضطرابات في الشرق الأوسط إثر عملية طوفان الأقصى على لعبة القوة والنفوذ في النظام الدولي بين القوة المهيمنة (الولايات المتحدة الأمريكية) والقوى الصاعدة المعارضة لتلك الهيمنة.

لقد جاء نشر هذه الدراسة لما لها من أهمية علمية وقيمة معرفية هامة للموضوع المتناول، لا سيما وأن صاحبها الأستاذ الدكتور عبد القادر دندن من الباحثين العرب المعروفين بتوجهاتهم الفكرية وكتاباتهم المنتقدة للوضع الدولي السائد، والمنادية بتغيير في هيكل وبنية النظام الدولي بما يتناسب مع طبيعة التحديات التي أصبح يشهدها العالم، ولمواجهة حالة العجز والهشاشة التي تميز النظام العالمي بصورته الحالية، الذي تهيمن عليه الولايات المتحدة الأمريكية كمركز جيوسياسي استراتيجي للغرب، ولكنها تلقى في الوقت الحاضر منافسة شديدة من مجموعة من القوى المعروفة بالقوى الصاعدة مثل الصين وروسيا والهند وبقية دول مجموعة البريكس، والتي تسعى لإعادة بناء نظام دولي أكثر تعددية ومرونة وعدالة بحسب خطابات صناع القرار فيها وكتابات أكاديمييها. ومعلوم أن الأستاذ عبد القادر دندن التدريسي في قسم العلوم السياسية بجامعة باجي مختار – عنابة بالجزائر ، والباحث المختص في الشؤون الآسيوية والصينية، لديه عدد من الأدبيات الهامة المتعلقة بالقوى الصاعدة والنظام الدولي، من بينها كتاب "الأدوار الإقليمية للقوى الصاعدة في النظام الدولي" عام ٢٠١٥، وكتاب "انتقال القوة من الغرب إلى الشرق: إعادة التفكير في مستقبل النظام الدولي" عام ٢٠٢٣، ودراسة بعنوان: "الجزائر وعودة الشرق: بوصلة الخيارات في عالم متغير" عام ٢٠٢٣.

ان الذي ميز هذه الدراسة في مستهلها، هو ارتكازها على نظرية انتقال القوة كإطار تحليلي نظري ومفاهيمي استند عليه الباحث وتحليل عملية انتقال القوة الجارية تدريجيا في النظام الدولي، بالنظر إلى صعود عدد من القوى الدولية التي توصف بالقوية وغير الراضية للقوة الحالية في الساحة الدولية، إذ ميزت القوة وعدم الرضى على الوضع القائم هو الشرط والمنطلق الأساسي بحسب المنظر الأمريكي من أصل إيطالي "أورغانسكي"، الذي يعود له الفضل في وضع نظرية انتقال القوة لتفسير حالات التحول في مركز القوة الدولي من مركز إلى آخر ومن قوة إلى أخرى، وهو ما تنبه إليه الباحث لهذا اختار تلك النظرية لتكون في اساس دراسته المنهجية والتحليلية . وانتقل الباحث في العنصر نفسه ليعرض الجانب العملي والميداني لأنشطة وسياسات وجهود ما يعرف بالقوى الصاعدة لإحداث التغيير المتوقع في النظام الدولي بالانتقال به من الأحادية والهيمنة الأمريكية إلى التعددية القطبية، جاعلا من القوى المشكلة لما يعرف بمجموعة البريكس (BRICS) اساس الحالات المعنية بتحليل مواقفها وتوجهاتها من طوفان الأقصى والحرب على غزة، وهي كل من الصين وروسيا والهند والبرازيل وجنوب إفريقيا، مع مراعاة التركيز على تلك الدول دون غيرها من الدول التي انضمت حديثا للمجموعة التي اصبحت تعرف بمجموعة "البريكس"، مبيناً بشكل تفصيلي مقومات ومصادر القوة المتنامية للدول الخمس الرئيسة في المجموعة، وموضح حالة عدم الرضى السائدة بينها تجاه الوضع الدولي القائم والذي من الواجب العمل على تغييره من جانبها ليناسب مع طبيعة التحولات الدولية ونوعية التحديات الجادة التي يواجهها العالم حاليا.

على الرغم من اتساع وتنوع القوى الصاعدة التي اشتملت عليها الدراسة، إلا أن الباحث قد وفق إلى حد كبير في عرض وتحليل مواقفها وتوجهاتها من التطور

الاستراتيجي الخطير الذي تشهده المنطقة في اعقاب عملية طوفان الأقصى وما تبعها من رحب على غزة، مبيناً خلفيات وخصائص موقف كل منها والعوامل المتحكمة في توجهاتها والعراقيل المقيدة لهامش مناورتها وتأثيرها في مجرى الأحداث.

ووفقاً للدراسة بالنسبة للصين، كان موقفها الخطابي مما يجري في المنطقة قوياً وحاداً ولا سيما في انتقادها للسياسات الإسرائيلية العنيفة في التعامل مع الأحداث وانتهاجها لسياسة العقاب الجماعي غير مبالية بأية قوانين دولية أو ضوابط ، بسبب دعم الولايات المتحدة الامريكية لها والتي تحملها الصين مسؤولية تردي الأوضاع في الشرق الأوسط بل وفي العالم ككل، بفعل قيادتها المتهورة للنظام الدولي وعدم تحملها لمسؤوليتها كقوة عظمى، ودعمها اللامحدود لإسرائيل التي تعد قاعدتها المتقدمة في المنطقة. وما زاد من الاحتقان بين الجانب الصيني والإسرائيلي هو رفض بيجين لإدانة العملية، بل وتأكيدها على حق الشعب الفلسطيني في المقاومة، وإصرارها مراراً وتكراراً على أن منع الفلسطينيين من حقهم في إقامة دولتهم المستقلة وما يتعرضون له من قمع هو العامل الرئيس المفجر للأوضاع في المنطقة برمتها، وقد تسبب ذلك في غضب إسرائيل من الموقف الصيني. ونجد أسهاب الباحث في رصد العوامل المتحكمة في الموقف الصيني، والنابع من إحساس الصين بالمسؤولية تجاه ضرورة إرساء الأمن والاستقرار في المنطقة، لكونها قوة متعاظمة إقليمياً ودولياً، وذات مصالح كبيرة ومتشعبة في المنطقة تضر بها أية اضطرابات جيوسياسية هناك، وانطلاقاً ايضاً من موقع الصين كجزء مما يعرف بالجنوب العالمي، وبالتالي فهي ذات نزعة معارضة للإمبريالية والاستعمار الذي تمثله إسرائيل في أبشع صورها بدعم من واشنطن بطبيعة الحال، بل يعد هذا الموقف طبيعياً من نزعة براغماتية صينية غايتها استغلال الموقف لكسب ود الدول العربية والإسلامية، وتأكيد موقفها الدائم لواشنطن يتحملها مسؤولية الاضطرابات العالمية، مما يجعلها قوة غير مؤهلة لقيادة النظام الدولي نحو الأمان.

اما بالنسبة للموقف الروسي ، فان روسيا بدورها لا تتوانى في استغلال أية فرصة لانتقاد السياسات الأمريكية ولإظهار عيوب القيادة الأمريكية للعالم، لا سيما في ظل

الحرب الروسية – الأوكرانية التي ترى فيها موسكو انعكاساً للموقف الأمريكي غير المسؤول بدعمها لكييف وعدم تفهمها للمخاوف الاستراتيجية الروسية. ولن تجد افضل من روسيا في تفجر الأوضاع في الشرق الأوسط بفعل عملية طوفان الأقصى والعدوان الإسرائيلي، لتستدل به على صواب توجهاتها ومواقفها تجاه النظام الدولي بقيادة أمريكية، الذي لم يجلب سوى عدم الاستقرار للعالم سواء في أوروبا أو الشرق الأوسط او منطقة الهندوباسيفيك. لقد كانت الحرب في غزة متنفسا لروسيا لتخفيف الضغط والتركيز على حربها مع أوكرانيا، ولكنها اظهرت ايضاً التأييد الرسمي الروسي للحق الفلسطيني في السيادة على أرض دولته المستقلة، وقد استقبلت روسيا وفدا من حركة حماس في موسكو اثناء الحرب، وهذا ما ادى إلى خلق ردود فعل غاضبة وقوية في تل أبيب.

على العكس من الصين وروسيا، حيث جاء الموقف الهندي في الدراسة متناغماً مع الإيديولوجية الهندوسية القومية المتطرفة للحزب القومي الهندوسي الحاكم في الهند بقيادة ناريندرا مودي، والذي أدانت به بلاده العملية واعتبرتها عملاً إرهابياً وحشياً، وعبرت عن تأييدها الكامل لحق إسرائيل في الدفاع عن نفسها، وهو ما كان مفاجئا للكثيرين إلا المطلعين على التطورات السياسية في الهند منذ وصول مودي وحزبه المتطرف للحكم، فعلى عكس المواقف التاريخية الهندية المؤيدة للحق الفلسطيني وغير المعترفة بإسرائيل، فإن توطيد العلاقات بين الجانبين في العقود الأخيرة سياسيا واقتصاديا وحتى عسكريا، وتقاطع مبادئ الإيديولوجية الصهيونية مع نظيرتاه الهندوسية لا سيما فيما تعلق بعدائهما للإسلام ونزعتهما العنصرية، وموجة التطبيع العربية مع إسرائيل، جميعها عوامل رجحت كفة التأييد للجانب الإسرائيلي على حساب الجانب الفلسطيني في أجندة الهند ورئيس وزرائها المتطرف مودي. رغم أن الهند قد حاولت بعد ذلك إحداث نوع من التوازن في مواقفها، بقولها بحق الفلسطينيين في تأسيس دولتهم ضمن ما يعرف بحل الدولتين، ودعوتها لوقف إطلاق النار وإدخال المساعدات لسكان القطاع المحاصرين، غير أن جوهر موقفها يبقى إسرائيلي صهيوني بالدرجة الأولى.

على النقيض من موقف الهند المؤيد لإسرائيل في حربها على غزة ، فقد كانت عملية طوفان الأقصى والحرب على غزة، فرصة أخرى لتأكيد مواقف جنوب إفريقيا المؤيدة للفلسطينيين والمعارضة للسياسات الإسرائيلية جملةً وتفصيلاً، حيث لم تكتف بشجب وإدانة العدوان الإسرائيلي فحسب، بل لجأت إلى القضاء الدولي برفعها دعوى أمام المحكمة الجنائية الدولية تتهم فيها إسرائيل بخرق القانون الدولي والإخلال بواجبتها كدولة احتلال وارتكابها لمجازر في حق الإنسانية في غزة وجرائم إبادة موثقة. وهي الدعوى التي انضمت إليها الكثير من دول العالم، وأثمرت باصدار أوامر باعتقال مسؤولين إسرائيليين رفيعي المستوى وعلى رأسهم رئيس الوزراء بنيامين نتانياهو، وهذا الموقف ليس غريبا على دول عانت بدورها من التميز العنصري والقمع في عهد دولة الأبارتايد، كما أن التقاليد النضالية التاريخية لشعب جنوب إفريقيا تتقاطع مع نظيرتها فلسطين المحتلة وشعبها .

أما البرازيل، فقد كان موقفها منذ البداية مفاجئا حسب الدراسة ، حيث أدانت العملية واعتبرتها إرهابية واعتداء على أمن إسرائيل، رغم أن هذا الموقف صادر من رئيس برازيلي يساري معروف بتوجهاته الثورية والمؤيدة لحركات التحر ألا وهو "لولا داسيلفا". غير أن وحشية الرد الإسرائيلي واستهدافه للمدنيين جعل لولا يعود تقييم موقفه ووصل به الحد إلى وصف أفعال إسرائيل في غزة بأنها تذكير بما فعله هتلر في الحرب العلمية الثانية، كما انضمت من هذه الرؤية إلى الدعوى التي رفعتها جنوب إفريقيا أمام محكمة العدل الدولية، وهو الموقف المنتظر والطبيعي من دولة ذات نظام حكم يساري، ومعروفة بنصرتها لقضايا التحرر، وتضم جالية عربية ومسلمة تقدر أعدادها بالملايين، ودولة عضو في مجموعة البريكس معارضة للهيمنة الأمريكية ولسياسات واشنطن ومن بينها دعمها اللامشروط لإسرائيل.

لم يكتف الباحث بتحليل ورصد وعرض مواقف وتوجهات دول مجموعة البريكس باعتبارها الممثلة لأكبر القوى الصاعدة في النظام الدولي فحسب، بل عرج وبالتعمق المعهود منه في مختلف كتاباته، على التداعيات المحتملة سواء لعميلة طوفان الأقصى

والحرب على غزة أو مواقف القوى الصاعدة منها على مستقبل لعبة القوة والنفوذ في النظام الدولي. فقد خلص إلى أن ما شهدته المنطقة من اضطرابات في الفترة الأخيرة ما هو إلا انعكاس لحالة العجز والهشاشة والتفكك التي يشهدها النظام الدولي بقيادة أمريكية، مع عجزها عن أداء دورها كقوة دولية عظمى مسؤولة عن ضبط البيئة الأمنية الدولية ونشر الاستقرار فيها، بل سعت على العكس من ذلك إلى دعم غير مشروط لحليفتها إسرائيل عسكريا ودبلوماسيا مما زاد في توتر الأوضاع وترديها. وقد نجحت القوى الصاعدة الأعضاء في مجموعة البريكس ولا سيما تلك المعارضة للولايات المتحدة وسياساتها بشكل صريح وقوي وتأتي على رأسها الصين وروسيا في المقالم الأول والبرازيل وجنوب إفريقيا في مقام أقل (باستثناء الهند التي تجمعها بأمريكا علاقات قوية وكذلك بحليفتها إسرائيل)، إبراز وتأكيد مكامن الخلل في النظام الدولي الأحادي والذي طالما كان موضوعا لخطاباتها وسياساتها المختلفة في قمم البريكس أو البيانات الناجمة عن لقاءات ثنائية بين تلك القوى. لقد أكدت هذه الحرب أن الولايات المتحدة الأمريكية تفقد بالفعل السيطرة تدريجيا على إدارة الشأن الدولي وتخفيف حدة النزاعات، بل وأثبتت أنها أصبحت هي في حد ذاتها عامل اضطراب وتحريض، وهذا ما اتضح من موقفها في حرب أوكرانيا بتأييدها لهذه الأخيرة لا سيما في عهد جو بايدن، وكذلك في حرب غزة بتنكرها لمبادئ القانون الدولي والأمم المتحدة والقيم الإنسانية، وتصميمها على الدعم العسكري لإسرائيل لترتكب جرائم في حق المدنيين بشكل واضح ، وهو ما ينفي عن القوة القائدة للنظام الدولي صفة القوة المسؤولة، ويجعل قيمها المعيارية وصورتها الأخلاقية محل تشويه وتشكيك، وكل ذلك يصب في مصلحة القوى الصاعدة لتثبيت مواقفها وكسب نقاط جديدة في الصراع الدولي من أجل القيادة والريادة عالمياً.